أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَام،

إِنَّ الْحُبَّ وَالِاحْتِرَامَ لَمِنْ أَدَقِّ وَأَظْرَفِ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي يَمْتَازُ بِهَا الْإِنْسَانُ عَنْ سَائِرِ الْمَخْلُوقَات. إِنَّ الْحُبَّ وَالِاحْتِرَامَ لُغَةُ تَوَاصُلٍ، تُنْشِئُ الْعَلَاقَاتِ الْقَوِيَّةَ بَيْنَ النَّاس، وَتُؤَلِّفُ بَيْنَهُم، وَتَنْشُرُ بَيْنَهُمُ السَّعَادَة. إِنَّ الْحُبَّ وَالِاحْتِرَامَ قِيمَتَانِ تَنْهَضَانِ بِالْمُجْتَمَع، وَهُمَا سَارِيَتَانِ فِي كُلِّ زَمَانٍ، فِي جَمِيعِ الْأَمَاكِنِ وَبَيْنَ جَمِيعِ النَّاسِ. هُمَا رَأْسُمَالٍ اِجْتِمَاعِيٍ خَطِير، وَهُمَا الْغِذَاءُ الْمَعْنَوِيُّ لِأَرْوَاحِ النَّاس. لِكُلِّ ذَلِكَ أَوْلَى دِينُنَا اِهْتِمَامًا بَالِغًا لِلْحُبِّ وَالِاحْتِرَام.

وَلَا شَكَّ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَسْتَحِقُّ مِنَّا الْحُبَّ وَالِاحْتِرَامَ هُوَ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَكُلُّ شُعُورٍ بِالْحُبِّ وَالِاحْتِرَامِ لِغَيْرِهِ سُبْحَانَهُ، إِنَّمَا يَكُونُ مَتِينًا وَمَحْمُودًا وَذَا قِيمَةٍ، إِذَا مَا اسْتَنَدَ إِلَى هَذَا الْأَسَاس، أَيْ إِلَى حُبِّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَرِضَاه. فَكُلُّ حُبٍّ وَاحْتِرَامٍ لَمْ يَقُمْ عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ، إِنَّمَا يَقُومُ عَلَى الْخَوْفِ أَوِ الرِّيَاءِ أَوْ عَلَى مَصْلَحَةٍ مَا. وَمَا أَسْرَعَ زَوَالَ حُبٍّ هَذَا أَسَاسُهُ وَمَا أَتْفَهَه.

وَإِنَّ الْحُبَّ وَالِاحْتِرَامَ لَا تَذَرُ مَجَالًا لِتَسَرُّبِ الْخِصَالِ الدَّنِيئَةِ بَيْنَ النَّاسِ، كَالْحِقْدِ وَالْبُغْضِ وَالْحَسَد. كَذٰلِكَ يُشَكِّلَانِ الْأَسَاسَ لِنُشُوءِ عَلَاقَاتٍ مَتِينَةٍ مُتَّزِنَةٍ وَدَائِمَةٍ بَيْنَ النَّاس، وَيُحَافِظَانِ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَنَالَ مِنْهَا.

إِخْوَتِيَ الْكِرَام،

لَقَدْ نَبَّهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَهَمِّيَّةِ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ إِذْ قَالَ ﷺ: **«لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا»**[1] وَإِنَّ لِاحْتِرَامِ الْكِبَارِ وَلِلرَّحْمَةِ بِالصِّغَارِ لَأَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ وَفَوَائِدَ جَمَّةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة. فَإِنَّ الرَّحْمَةَ بِالصِّغَارِ وَإِظْهَارَ الْمَوَدَّةِ لَهُمْ تَمْلَأُ عَالَمَهُمُ الصَّغِيرَ سَعَادَةً.

وَلِشُعُورِ الطِّفْلِ بِهَذَا الْحُبِّ دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي الْمُحَافَظَةِ عَلَى صِحَّتِهِ النَّفْسِيَّةِ وَفِي تَنْمِيَةِ شَخْصِيَّتِه. كَمَا أَنَّ الْأَطْفَالَ يَسْتَفِيدُونَ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ وَالتَّجَارِبِ الَّتِي يَرِثُونَهَا عَنْ كِبَارِهِمْ فَيَعِيشُونَ حَيَاتَهُمْ بِشَكْلٍ أَحْسَنَ، وَيَنْظُرُونَ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ بِثِقَةٍ، وَيَخْطُونَ خُطُوَاتٍ رَاسِخَةً نَحْوَه. وَبَيْنَمَا يُعْثَرُ لَدَى الطِّفْلِ الَّذِي حُرِمَ مِنَ الشُّعُورِ بِالْحُبِّ مُيُولٌ نَحوَ الْإِجْرَام، نَجِدُ أَنَّ الطِّفْلَ الَّذِي أُحِيطَ بِالْحُبِّ لَا يَبْدُرُ مِنْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ بِسُهولَةٍ وَلَا يَضُرُّ غَيْرَه.

وَإِنَّ تَوْقِيرَ الْكِبَارِ وَنَيْلَ دُعَائِهِمْ لَمِنْ أَهَمِّ الْمُهِمَّاتِ الدِّينِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ الَّتِي يَنْبَغِي أَلَّا يُهْمِلُهَا مُسْلِم. وَيَصِفُ لَنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ كَيْفِيَّةَ احْتِرَامِنَا لِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا. يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**وَقَضٰى رَبُّكَ اَلَّا تَعْبُدُوٓا اِلَّآ اِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ اِحْسَاناً ط اِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ اَحَدُهُمَآ اَوْ كِلٰاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَآ اُفٍّ وَّلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً**﴾[2] فَذٰلِكَ مِنْ مَظَاهِرِ الْأَدَبِ وَالْأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِلْمُسْلِم.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَام،

إِنَّ الشَّيْخُوخَةَ حَقِيقَةٌ لَا مَنَاصَ مِنْهَا لِمَنْ يُعَمَّرُ وَيَتَقَدَّمُ فِي السِّنّ. وَفِي مَرْحَلَةِ الشَّيْخُوخَةِ يَصِيرُ الْمَرْءُ عَاجِزًا وَأَشَدَّ احْتِيَاجًا إِلَى الْمُسَاعَدَةِ وَإِلَى الرِّعَايَةِ وَالْعِنَايَة. فَلْنَحْذَرْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ أَنْ نُقَصِّرَ مَعَ الْكِبَارِ وَخُصُوصًا مَعَ أَبَوَيْنَا فِي هٰذَا الْأَمْرِ الْغَلِيظ. وَلْنَتَجَنَّبْ كُلَّ تَصَرُّفٍ قَدْ يُحْزِنُهُم. وَلْنَتَذَكَّرْ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: **«مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلَّا قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّه»**[3]

أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ عِبَادِهِ الْبَارِّينَ بِكِبَارِهِمْ وَالرَّاحِمِينَ لِصِغَارِهِمْ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْه.

IGMG

[1] جامع الترمذي، كتاب البر، ١٥؛ سنن أبي داود، كتاب الأدب، ٦٦

[2] سورة الإسراء:٢٣

[3] جامع الترمذي، كتاب البر، ٧٥